﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: 135- 138]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

بَيْنَ هذه الآياتِ وما قبلَها مناسبةٌ دقيقةٌ، وارتباطٌ وثيقٌ؛ فإنَّه تعالى بعدَ أن بيَّنَ بالدَّلائل الّتي تَقدَّمَتْ، أنَّ مِلَّةَ إبراهيمَ هي مِلَّةُ الحنيفيَّةِ السَّمْحةِ، وذمَّ اليهودَ والنَّصارى لِعُدولهم عن تَلَقِّي هذا الدِّينِ القويمِ، الّذي شَمَلَ خِصَالَ الحَنيفيَّةِ السَّمْحةِ، لجَهالتِهم وسَفَهِهم، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: 130].

إبطال دعوى اليهود والنَّصارى أنَّهم على الحقِّ

جاءت الآياتُ بعدَها معطوفةً على ما سبَقَها، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾؛ لتُبيِّنَ كيفيَّةَ إعراضِهم، ومِقدارَ غُرُورِهم وتكبُّرِهم، وتَحكيَ شُبهةً من شُبههم الباطلةِ، ودعاويهم الكاذبةِ، وهي: أنَّهم حَصَروا الهُدى في اليَهُوديَّة والنَّصرانيَّة[1].

كما جاءت الآياتُ الكريماتُ لِتَرُدَّ هذه الشُّبهةَ بعدَها، وتُبيِّنَ زَيفَها، وبُطلانَ مذهبِهم، بإعراضهم عن الإسلام، وتقليدِهم الأعمى وإصرارِهم عليه، بذكرِ جَوَابٍ إلْزَامِيٍّ لهم في قوله تعالى: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/736، وباختصار.

﴿إِلَيْنَا﴾، ولَمَّا أبطلَ هذه الشُّبْهةَ بالجَوابِ الجَدَليِّ، ذَكَرَ بعدَه جوابًا بُرهانيًّا، وبيّنَ أَنَّ الطَّريقَ إلى معرفةِ نُبُوَّةِ الأنبياءِ عليهم السلام هي ظُهورُ المُعجِزِ على أيديهم، وَلَمَّا ظهرَ المُعجِزُ على يد سيِّدنا مُحمَّدٍ، ﷺ، وجبَ الاعترافُ بنُبُوَّتِه، والإيمانُ برسالتِه، فهذا هو المُرادُ من هذه الآياتِ، وتعقيبها على ما سَبَقَها، وهو بَعْضُ الغرضِ مِنْ ذِكرِها[1].

وبهذا جاءت هذه الآياتُ رَدًّا على دعاوى اليهود والنَّصارى الباطلةِ، وبيَّنَتْ غُرورَهم، وكيفيَّةَ إعراضِهم عن منهجِ الأنبياءِ عليهم السلام، وفيها أيضًا: بيانُ أنَّ الدِّينَ الحقَّ هو في التَّمسُّكِ بالإسلام، دِينِ جميعِ الأنبياءِ والمرسلين عليهم السلام، سالكةً بذلك كلِّه أسلوبَ الحِجاجِ العقليِّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿هُودًا﴾: الهَوْدُ: التَّوْبَةُ، هادَ يَهُودُ هَوْدًا وتَهَوَّدَ: تابَ وَرَجَعَ إلى الحَقِّ، فَهُوَ هائدٌ، وقومٌ هُودٌ: مِثْلُ حائِكٍ وحُوكٍ، وبازِلٍ وبُزْلٍ، والمُتَهَوِّدُ: المُتَقَرِّبُ، وهادَ: إذا رجَعَ مِنْ خَيْرٍ إلى شَرٍّ، أو مِنْ شَرٍّ إلى خَيْرٍ، وكلا الرُّجوعَينِ وَقَعَ فيه اليهودُ، وهذا المعنى يُشيرُ بدقَّةٍ إلى علَّة تسميتِهم باليَهودِ؛ لأنَّ رجوعَهم كان أوّلًا مِنْ شَرٍّ إلى خَيْرٍ، وثانيًا كانَ من خَيْرٍ إلى شَرٍّ، بتحريفِهم لشريعتهم[2].

قال ابنُ فارس: "فَأَمَّا اليَهُودُ: فَمِنْ هَادَ يَهُودُ، وَسُمُّوا بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ تَابُوا عَنْ عِبَادَةِ العِجْلِ"[3]، أو من الهَوْد: هادُوا يَهودُون هَوْدًا، فيكونُ اسمُ اليهودِ مُشْتقًّا مِن هادُوا، أي: تابوا، ويُقالُ: نُسِبوا إلى يَهُوذا، وهو أكبرُ ولدِ يعقوبَ، وحُوِّلَتِ الذّالُ إلى الدّال حين عُرِّبت[4].

2) ﴿نَصَارَىٰ﴾: مِنْ: (نَصَرَ)، والتَّنَصُّرُ: الدُّخولُ في النَّصْرانيّة، ونَصَرى ونَصْرَى وناصِرَة ونَصُورِيّة ونَصْران: كلُّها اسمُ قرية بالشَّام، يُنْسَبُ إليها النَّصارى[5].

والنَّصارى: هم أتْباع عيسى عليه السلام، والنَّصارى في الأصل: جمعُ نَصْرانَ ونَصْرانَةٍ، ولكنَّه لا يُستعمَلُ في الكلام إلَّا بياءِ النَّسبِ المُشدَّدةِ: (نَصْرانيٌّ)، و(نَصْرانيّةٌ)[6].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/70-72.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (هود).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هود).
(4) الخليل، العين: (هود).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نَصَرَ)، وهي حالياً مدينة كبيرة في فلسطين.
(6) سيبويه، الكتاب: 3/255.

3) ﴿تَهۡتَدُواْۗ﴾: مِنْ (هَدَى)، والهُدَى يُطلق على معانٍ منها: نَقيضُ الضَّلَالَة، والبَيانُ، وإِخْرَاج شَيْء إِلَى شَيْء، والطَّاعَةُ والوَرَعُ، والطَّريقُ، وهَداه يَهْدِيه هِدَايةً، إِذا دَلَّهُ على الطَّرِيق، وهداه يَهْدِيه في الدِّين هُدًى[1].

وجملة القول فإنّ لفظ الهُدى يَقعُ على الإيمان والشَّرائع كُلِّها، إذِ الاهتداءُ إِنَّما يَقعُ بها كلِّها.

أمّا (تَهْتَدُواْ) في قوله تَعَالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾، فجاءَ من الاهْتداءِ، الّذي يَختَصُّ بما يَتحرّاه الإنسانُ على طريق الاختيارِ، إمّا في الأُمُور الدُّنيويّة، أوِ الأُخْرَويّةِ[2].

4) ﴿مِلَّةَ﴾: مِنْ: (مَلَلَ)، والمَلَّةُ: الرَّمادُ والجَمْرُ، والدِّيَةُ، والمَلَلُ والمَلالُ: أن تَملَّ شيئًا، وتُعْرِضَ عنه[3].

ومن المَجَازِ المِلَّةُ: الدِّيْنُ والطَّريقةُ المَسْلوكةُ، ومنها: مِلَّةُ إبراهِيمَ خيرُ المِلَلِ، وامْتَلَّ فلانٌ مِلَّةَ الإسْلام[4].

ومعنى: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: بل الهدايةُ أن نتَّبعَ دينَ إبراهيمَ.

5) ﴿حَنِيفٗاۖ﴾: مِنْ (حَنَفَ)، والحاءُ والنُّونُ والفاءُ أَصْلٌ مُسْتَقيمٌ، وهو المَيَلُ، ويَدورُ معنى الجذْرِ اللُّغويِّ حولَ: التفات الشّيءِ أو اعوجاجه عن مُعتادِ الحالِ، يُقالُ لِلّذي يَمْشِي على ظُهُورِ قَدَمَيْهِ: أَحْنَفُ، وقالَ قَوْمٌ -وَأَرَاهُ الأَصَحَّ- إِنَّ الحَنَفَ اعْوِجَاجٌ في الرِّجْلِ إِلَى دَاخِلٍ، وَرَجُلٌ أَحْنَفُ، أَيْ: مَائِلُ الرِّجْلَيْنِ[5]، أي: إِقْبالُ القَدَمَينِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى الأخرى، وحَنَفَ عَنِ الشَّيْءِ وتَحَنَّفَ: مَالَ[6].

والحَنيفُ: المائلُ عن الدِّينِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ، أي: المُسلمُ المستقيمُ الّذي

(1) ابن منظور، لسان العرب: (هدي).
(2) الكَفويُّ، الكُلّيّات، ص: 954-953.
(3) الخليل، العَين: (مَلل)، والأَزْهريُّ، تهذيب اللُّغة: (مَلل).
(4) الزَّمخشريُّ، أساس البلاغة: (ملل).
(5) ابنُ فارس، مقاييس اللُّغة: (حَنَفَ)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (حنف).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (حَنَفَ).

يستَقبِلُ قِبْلَةَ البَيتِ الحَرام على مِلّةِ إبراهيمَ حَنيفًا مُسْلِمًا، وأحَبُّ الأديانِ إلى اللهِ الحَنيفيَّةُ السَّمْحةُ، وهي مِلّةُ النَّبيِّ ﷺ، لا ضيقٌ فيها، ولا حرجٌ[1].

6) ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: مِنْ (شَرَكَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالكافُ أَصْلَانِ، أَحَدُهُما: يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةٍ وَخِلَافِ انْفِرَادٍ، وَالْآخَرُ: يَدُلُّ على امْتِدَادٍ وَاسْتِقَامَةٍ، ولَفظةُ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أصْلُهَا مِن المَعْنَى الأَوَّلِ، فالشِّرْكَةُ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، لَا يَنْفَرِدُ بِهِ أَحَدُهُما[2].

والشَّريكُ: يُجمَعُ على شُرَكاءَ وأشْراك، "وأَشْرَكَ باللَّه: كَفَرَ، فَهُوَ مُشْرِكٌ ومُشْرِكيٌّ، وَالاسْم: (الشِّرْك)"[3]، جاء في لسان العرب: "الشِّرْكُ: أَن يجعلَ لِلَّهِ شَرِيكًا في رُبوبيَّته، تعالى اللَّهُ عنِ الشُّرَكاء والأَنداد، وقولُه تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: 100]، والمُشركونَ: هم الّذينَ صَاروا مُشْرِكينَ بِطَاعَتِهِمْ لِلشَّيْطَانِ[4].

والّذي جاء في القرآنِ من مُفردات التَّركيب، جُلُّهُ بمعنى اتِّخاذِ الكفّارِ شَريكًا، أو شُركاءَ للّه، تعالى اللّهُ عمّا يَصفونَ.

7) ﴿ءَامَنَّا﴾: مِنْ (أَمَنَ)، و"الهَمْزَةُ وَالمِيمُ والنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُما الأَمَانَةُ، الّتِي هِيَ ضِدُّ الخِيَانَةِ، وَمَعْناها: سُكُونُ القَلْبِ، وَالآخَرُ: التَّصْدِيقُ"[5].

والمعنى المحوَريُّ: وَثاقَةٌ في الباطنِ، مِنْ قولِهم: ناقَةٌ أَمُونٌ: أَمينةٌ وَثيقةُ الخَلْقِ، ومِنْ ذلك الأَمْنُ: ضِدُّ الخَوفِ، كأنَّ الآمِنَ تَمَكَّنَ في حِصْنٍ، أو امْتَلأَ قلبُه امتلاءً شديدًا بما يُطَمْئِنُهُ، ومِنْ ذلك: آمَنَ بالشّيءِ: صَدَّقَ، قَبِلَ الكلامَ، ووَثِقَ به؛ فتَمَكَّنَ مِنْ قَلبِه[6].

والإيمانُ: الثِّقَةُ، وإظْهارُ الخُضوعِ، وقَبولُ الشَّريعَةِ[7].

والإيمانُ يُرادُ بِهِ: إذْعانُ النَّفْسِ لِلحَقِّ على سَبيلِ التَّصْديق، وَذَلِكَ باجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ

(1) الخليل، العَين: (حنف).
(2) ابنُ فارس، مقاييس اللُّغة: (شَرَكَ).
(3) الكَفويُّ، الكُلّيّات، ص: 533.
(4) ابن مَنظور، لسانُ العَرب: (شرك)، بتصرّف.
(5) ابن فارس، مَقاييس اللُّغة: (أَمَنَ).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أمن).
(7) ابن سِيده، المُحكم والمُحيط الأعْظم: (أَمن).

أَشْيَاءَ: تَحْقِيقٌ بِالقَلْبِ، وإِقْرارٌ باللِّسانِ، وَعَمَلٌ بِحَسَبِ ذَلِكَ بِالجَوَارِحِ، ويُقَالُ لِكُلِّ واحِدٍ مِن الاعْتِقاد وَالقَوْلِ الصِّدْقِ وَالعَمَل الصَّالِح: إيمَانٌ[1].

8) ﴿أُنزِلَ﴾: مِنْ (نَزَلَ)، والنُّزُول: الحُلولُ، ونَزَلَ فلانٌ عن الدّابّة، أو مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وقد نَزَلَهم، ونَزَلَ عَلَيهم، وبهِم، يَنْزِلُ نُزُولًا[2].

وأَنْزَلَ اللّهُ الغيثَ، وأَنْزَلَ الكتابَ ونَزَّلَهُ، وتَنزّلَتِ المَلائكةُ، فيها دَلالةُ النُّزولِ من عُلُوٍّ[3].

ومعنى الآية: ما أوحاه الله.

9) ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: مِنْ (سَبَطَ)، أَصْلٌ يَدُلُّ على امتدادِ شيءٍ، "السَّبَطُ: نَباتٌ كالثِّيل، يَنْبُتُ في الرِّمال، له طُولٌ، الواحدةُ: سَبَطةٌ"[4]، وهو ضَرْبٌ من الشّجر تَرعاه الإبِلُ، يُقالُ: الشَّجرةُ لها قبائلُ، وكذلكَ الأَسْباطُ من السَّبَط، كأَنّه جَعَلَ إِسْحَاقَ بِمَنْزِلَةِ شَجَرَةٍ، وجَعَلَ إِسْمَاعِيلَ بِمَنْزِلَة شجرةٍ أُخْرى[5].

وَرَجُلٌ سَبِطُ الجسمِ وسَبْطُه: طَويلُ الأَلواحِ، مُسْتَوِيها، بَيّنُ السَّباطةِ، مِثْلُ: فَخِذٍ وفَخْذٍ، مِنْ قَوْمٍ سِباطٍ، إذا كانَ حَسَنَ القَدِّ والاسْتِواءِ[6].

والأَسْبَاطُ: هم الأنبياءُ من ولَدِ يعقوبَ في قبائلِ بني إسرائيلَ الاثنتي عَشْرَةَ، سُمُّوا بالأَسْباط؛ لأنَّه كان مِنْ كلِّ واحدٍ منهم سِبْطٌ، والسِّبْطُ في بني إسرائيلَ بمنزلةِ القبيلةِ، والسِّبْطُ في اللُّغة: الجماعةُ يَرجعون إلى أبٍ واحدٍ[7].

10) ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾: من (نَبَأَ)، والنّبأُ، لفظٌ مهموزٌ، وهو الخَبَرُ، وإنّ لفُلانٍ نبأً، أي: خَبَرًا، والفِعلُ: نبّأْتُه وأنْبأْتُه واسْتَنْبَأته، والجميعُ: الأنْباءُ، والنبيُّ ﷺ يُنبئُ الأَنْباءَ عن اللّه ﷻ، والنّبيُّ، يُقالُ: الطّريقُ الواضحُ، يأخُذُكَ إلى حيثُ تُريدُ[8].

(1) الراغب، المفردات: (أمن).
(2) الفَراهيديُّ، العَين: (نزل)، وابن سِيدَه، المُحكم والمُحيط الأعْظَم: (نزل).
(3) الزَّمخشريُّ، أساس البَلاغة: (نزل).
(4) الخليل، العَين: (سبط).
(5) الأزْهريُّ، تهذيب اللُّغة: (سبط).
(6) ابن منظور، لسان العَرب: (سبط).
(7) السّجستانّي، غريب القرآن، ص: 49.
(8) الخليل، العَين: (نبأ).

وقد صرَّحَ سِيبَوَيْهِ بِأَنَّ تَخْفيفَ النَّبِيِّ والبريَّةِ، تَخفيفٌ بَدَليٌّ؛ بِدَلَالَة ضُروبُ تَصريفِها[1].

والنَّبَأُ: خَبَرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يَحصُلُ به علمٌ، أو غَلَبَةُ ظَنٍّ، ولا يُقالُ للخبر في الأصل نَبَأٌ، حتّى يَتضمّنَ هذه الأشياءَ الثّلاثةَ، والنُّبُوَّةُ: سِفَارَةٌ بين اللّه وبين ذَوي العُقولِ من عِباده، لإزاحةِ عِلَلِهم، في أمر مَعادِهم ومَعاشِهم، والنَّبِيُّ لكونه مُنَبِّئًا بما تَسكُنُ إليه العقولُ الذَّكيَّةُ[2].

11) ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾: مِنْ (فَرَقَ)، والفَرْقُ: موضِعُ المَفْرِقِ من الرّأسِ في الشَّعْرِ، والفَرْقُ: تَفريقٌ بين شيئَين فرقًا، حتّى يَفترِقا ويَتَفَرَّقا، وتَفَارقَ القومُ وافتَرَقوا، أي: فارقَ بعضُهم بعضًا.

والتَّفْرِيقُ: أصلُه للتّكثير، ويُقالُ ذلك في تَشتيتِ الشَّمْلِ والكَلِمة، ومِنه قَولُه تَعَالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾.

12) ﴿مُسْلِمُونَ﴾: جمعُ مُسْلِمٍ، مِنْ (سَلِمَ)، "والسَّلامُ والسَّلامةُ: البَراءةُ، وتَسلَّمَ منه: تَبرَّأَ"[3].

والمعنى المحوريُّ: صِحَّةُ جِرْمِ الشَّيءِ، والْتِئامُ ظاهره في ذاته، أيْ: عَدَمُ تَصدُّعِه، أو تَفَرُّعِ غيرِه منه.

والإِسْلامُ والاسْتِسْلامُ: الانْقِيادُ، والإِسْلامُ مِنَ الشَّرِيعَةِ: إظهارُ الْخُضُوعِ، وإظهارُ الشَّرِيعَةِ، والْتِزَامُ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ، ﷺ، ويُقالُ: فلانٌ مُسْلِمٌ، وَفِيه قَولَانِ: أحدُهما: هُوَ المُستَسْلِمُ لأمرِ اللّهِ، وَالثّاني: هُوَ المُخلِصُ للّه العبادةَ، والمُسلِمُ: التّامُّ الإِسْلَامِ، مُظْهِرُ الطَّاعَةِ، مُؤمِنٌ بهَا، وبهذا المَعْنَى جَاءَ قَولُه تَعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[4].

13) ﴿تَوَلَّوْا﴾: مِنْ (وَلِيَ)، و"الوَاوُ وَاللَّامُ وَالياءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ، والوَلْيُ: الْقُرْبُ، يُقَالُ: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلْيٍ، أيْ: قُرْبٍ، وَجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي، أيْ: يُقَارِبُنِي"[5].

(1) ابنُ سِيدَه، المخصّص: 5/226.
(2) الراغب، المُفردات: (نبأ).
(3) ابن سيده، المحكم: (سلم).
(4) الأَزْهريُّ، تهذيبُ اللُّغة، وابن منظور، لسانُ العَرب: (سلم).
(5) ابن فَارس، مَقاييس اللُّغة: (وَلَيَ).

والتَّوَلِّي يكون بِمَعْنى: الاتّباع، وَيكون بِمَعْنى: الإِعْرَاض.

والمراد من الآية: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: أعْرَضُوا.

14) ﴿شِقَاقٍ﴾: مِنْ (شَقَّ)، والشِّينُ وَالقافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى انْصِدَاعٍ فِي الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَيُشْتَقُّ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى الاسْتِعَارَةِ، تَقُولُ: شَقَقْتُ الشَّيْءَ، أَشُقُّهُ شَقًّا، إِذَا صَدَعْتَهُ، والشَّقُّ: مصدرُ قَوْلِك شَقَقْتُ.

والمعنى المحوَريُّ: صَدَعَ الشّيءَ الشّديدَ صَدْعًا نافِذًا إلى عُمْقه: كصَدع العود والحائط والزُّجاجة، وكما يصدعُ النَّبتُ والنّابُ ما يُغطِّيهما ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عبس: 26]، المُرادُ: أنَّ البِذرةَ تَنْبُتُ منها خامةٌ ضعيفةٌ، لكنّها تَخترقُ الأرضَ الصُّلْبَةَ، وتَبرُزُ بإذن اللّه تعالى.

والشِّقاقُ: الخلافُ؛ كأنَّ كُلًّا يَنْشَقُّ عن الآخر إلى ناحيةٍ أو شِقٍّ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13]، والصِّيغةُ هنا للمُبالغة؛ لأنَّ الخلافَ من جانبهم هم، مع مُعاودةٍ وتَكرارٍ، وكذلك كلُّ ما كان سياقُه مُشاقَّةً للّه ورسولِه، وهو كُلُّ (شاقّ) و (يُشاقّ)، وما كان بصيغة المصدر (شِقاق)، أمّا قولُه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]، فهو خلافٌ ومُباعدةٌ من الطّرفَين، وسائرُه الرّاجحُ أو الصَّحيحُ أنّه مُشاقّةُ اللّه ورسولِه، و شِقّ الرَّجُل -بالكسر- وشَقيقُه: أخوه، كأنّهما شِقّانِ لشيء، أو مِنْ شيءٍ واحدٍ[1].

وبهذا المَعْنى جَاءَ لَفْظُ (شِقَاق) في الآية: ﴿فِي شِقَاقٍ﴾، أي: في شقَاق الحقِّ، وَهُوَ المُنافاة والمُخالَفَة، وكونُكَ في شِقٍّ غَيْر شِقِّ صاحِبِكَ[2].

15) ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾: مِنْ (كفي)، كَفَى يَكْفِي كِفايةً، إذَا قَامَ بالأمْر، واسْتَكْفَيْتُه أمْرًا فَكَفَانيه، ورأيت رجالًا كافِيكَ من رجالٍ، أي: كَفاكَ بهم رجالًا[3].

والمعنى الإجماليُّ يدورُ حول: "ما فيه سَدُّ الخَلَّةِ، وبلوغُ المراد في الأمر"[4]، ومِنْ هذا الأصلِ: "كَفاك الشَّيءُ يَكفيك: استغنيتَ به عن غيره، وقَنِعْتَ به، سَدَّ حاجتَك بقَدْر ما تحتاج.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (شقق).
(2) الراغب، المفردات: (شقق).
(3) الخليل، العَين: (كفي).
(4) الراغب، المفردات: (كفى).

ومعنى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ لن يَصلوا إليكَ بشيءٍ تُمليه عداوتُهم، بسبب تولّيهم وشقاقِهم، فإنَّ اللّٰه يَكفيك شرَّهم، وهذا ضمانٌ منه سبحانه كفايتَه إيّاهم، ويَتضمَّنُ ذلك إظهارَه ﷺ على أعدائه[1].

16) ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: مِنْ (سَمِعَ)، والسِّينُ وَالمِيمُ وَالعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِينَاسُ الشَّيْءِ بِالأُذُنِ، مِنَ النَّاسِ وَكُلِّ ذِي أُذُنٍ، تَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْءَ سَمْعًا، والسَّمْعُ: ما وَقَرَ فيها من شيء يَسمعُه[2]، و"يُقَالُ لِسَمْعِ الأُذُن: المِسْمَعُ، وَهُوَ الخَرْقُ الّذِي يُسمَع بِهِ، وَقد يُقَالُ: لجَمِيع خُرُوق الإِنْسان، عَيْنَيْهِ ومَنْخِريه مَسَامع، لَا يُفرَدُ وَاحِدُها"[3].

وكلُّ ما في القرآن من التّركيب -عدا ما في هذه الفقرة- هو من سماع الأُذُن، إلَّا في وصف المولى ﷻ، فهو عِلمُ ما يُقال بكَيفيّةٍ يَعلمُها [4] ﷻ.

17) ﴿صِبْغَةَ﴾: مِنْ (صَبَغَ)، والصِّبْغُ والصِّباغُ: مَا يُصْطَبَغُ بِهِ مِنَ الإِدام، وصَبَغَ اللُّقمةَ، يَصْبُغُها صَبْغًا: دَهَنها وغَمَسَها، وكلُّ مَا غُمِسَ، فَقَدْ صُبِغَ، وَالجَمْعُ صِباغٌ، وَيُقَالُ: صَبَغَتِ النّاقةُ مَشافِرَها في المَاءِ، إِذَا غَمَسَتْها، وصَبَغَ يَدَه في الماءِ[5].

والصَّبْغُ في كَلَام الْعَرَب: التَّغييرُ، وَمِنْه: صُبِغَ الثّوبُ، إذا غُيِّرَ لَونُه، وأُزيلَ عنْ حَاله إِلَى حَال سوادٍ أو حُمْرَةٍ أو صُفْرةٍ، وصِبَغَةُ اللّٰه: دِينُه، وأصلُه أَنَّ بعضَ النَّصَارى كانوا إذا وُلدَ المولودُ، جَعَلُوهُ في ماءٍ لَهُم، كالتَّطهير، فَقَالَ اللّٰه تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾، فَسَمَّتِ النَّصَارَى غَمْسَهم أولادَهم في مَاء فِيهِ صِبغٌ: صَبغًا؛ لغمْسِهم إيّاهمْ فِيهِ[6].

وجملة القول: الصِّبْغَةُ: إشارةٌ إلى ما أوجدَه اللّٰهُ تعالى في النّاس، وما جُبِلوا عليه من العَقْل، المُتميّزِ به عن البَهائم كالفِطْرَة، إذ يُقالُ للصِّبْغَةِ: فِطْرَةُ اللّٰهِ[7].

ومعنى الآية: الزَمُوا دِينَ اللّٰهِ وفِطْرَتَهُ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كفى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سمع).
(3) الأَزْهريُّ، تهذيبُ اللّغة: (سمع).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سمع).
(5) ابن مَنْظور، لسانُ العَرب: (صبغ).
(6) الأَزْهريُّ، تهذيبُ اللّغة: (صبغ)، والجَوْهَرِيُّ، الصّحاح: (صبغ)
(7) ابن دُرَيد، جَمْهَرة اللّغة، والراغب، المفردات: (صبغ).

18) ﴿عَٰبِدُونَ﴾: مِنْ (عَبَدَ)، العَبْدُ: الإِنْسَانُ حُرًّا كَانَ أَو رقيقًا، يُذْهَبُ بذلك إِلَى أَنَّه مَرْبوبٌ لِباريه جَلَّ وعزّ، والعَبْد: المَمْلوكُ[1].

وبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ، أَي: مُذَلَّلٌ، وطَرِيقٌ مُعَبَّدٌ، أَي مَسْلُوكٌ مُذَلَّلٌ، والعابد: المُوحِّد[2]، وعَبَدَ اللَّه عِبَادَةً: فهو من هذا الأَصْل، أَيْ: جَعَلَ نَفْسَه مَمْلوكًا، وعَبَّدًا للَّه بهذا التَّأَلُّه، وبِعِبَارةٍ أخرى فالعِبادَة: الشَّعائِرُ، والامتثالُ في التَّصرُّف، فهي تَعبيرٌ عن المَملوكيَّةِ للَّه، بالإذعانِ والامتثالِ لكلِّ ما أمر ونهى، في أمر دنيا أو دِينٍ[3].

"وعبادَةُ اللّه تَعَالَى: الذِّلُّ لَهُ بالانقياد لمَا أَمَرَ، والانتهاء عَمَّا نهى، وحَدَّ بَعضُهم العِبادَةَ فَقالَ: هِيَ الأَفْعالُ الوَاقِعَةُ على نِهايَة مَا يُمْكِنُ من التَّذَلُّلِ والخُضوع، والمُجاوزَةِ لتذلُّلِ بعض العِباد لبَعضٍ"[4]، وإلى ذلك يُشيرُ معنى ﴿عَٰبِدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

جاءت هذه الآياتُ الكريمات في الرَّدِّ على اليهود والنَّصارى، وبطلانِ مذهبهم، وإثباتِ أنَّ الإسلامَ هو دينُ اللّه الحقِّ في الأرض.

الرَّدُّ على اليهود والنَّصارى، وبيانُ دينِ اللهِ الحقِّ

فبدأت بذكر شُبهة هذَين الفريقَين، بنِسبة الحقِّ لكلِّ فريقٍ منهما فقط، لا لغيرهما[5]، فكلُّ فريقٍ منهم قال لأهل الإيمان على وجه الانفرادِ: إنَّ النّجاةَ والهدايةَ باتّباع مِلَّته، فقالتِ اليهودُ: كونوا يهودًا تَهتدوا للحقِّ، وقالتِ النَّصارى: كونوا نصارى تَهتدوا للحقِّ، ليأتيَ الرَّدُّ على هذه الشُّبهة، مع بيان كَذِبهم، وزَيفِ ادِّعائهم، إذ أمرَ اللّهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا، ﷺ، بأنْ يجيبَهم: بأنَّ الدِّينَ الحقَّ ليس

(1) ابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(2) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (عبد).
(3) جبل، المُعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عبد).
(4) ابن الجَوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 431.
(5) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي رُؤُوسِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ: كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ، وهْبِ بْنِ يَهُوذَا، وَأَبِي يَاسِرِ ابن أَخْطَبَ؛ وَفِي نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَاصَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ، كُلُّ فِرْقَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِهَا، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: نَبِيُّنَا مُوسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا التَّوْرَاةُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَبِيُّنَا عِيسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا الْإِنْجِيلُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْمُؤْمِنِينَ: كُونُوا عَلَى دِينِنَا، فَلَا دِينَ إِلَّا ذَلِك، وَدَعَوْهُمْ إِلَى دِينِهِمْ، يُنظر: الواحديُّ، أسباب النُّزول، ص: 41.

في دِياناتِهمُ المُحرَّفةِ، بل إنَّ الهدايةَ الحقيقيَّةَ تَتَمثَّلُ في اتِّباعِ دِينِ سيِّدِنا إبراهيمَ، عليه السلام، المائلِ عن الأديانِ الباطلةِ إلى الدِّينِ الحقِّ، دينِ الحَنِيفيَّةِ السَّمْحةِ، الّذي هو استقامةٌ على طريقِ التَّوحيدِ، ومَيَلانٌ عن طريقِ الشِّركِ والضَّلالِ، فإبراهيمُ عليه السلام، لم يكُن من عُبَّادِ الأصنامِ، ولم يكُن يهوديًّا ولا نصرانيًّا[1].

ثُمَّ أمرَ اللّهُ المُؤمنينَ وأرشدَهم إلى الإيمانِ بِما أُنزِلَ إلَيهِم، بوَاسطةِ رسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ مُفَصَّلًا، وبما أُنزِلَ على الأَنبياءِ المُتَقَدِّمينَ مُجمَلًا - مِنْ قَبْلِ التَّبديلِ والتَّحريفِ -، وَنَصَّ على أَعيانٍ من الرُّسُلِ، وَأَجمَلَ ذِكرَ بَقيَّةِ الأَنبياءِ، وأَنْ لا يُفرِّقُوا بينَ أَحَدٍ مِنهُم، بل يُؤمِنُوا بهم كُلِّهم[2].

وقد روى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ، وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: 136]»[3].

ثمَّ تأتي الآيتانِ الأخيرتانِ لتُبيّنَ السَّبيلَين لليهود والنَّصارى، هدايةً وضلالًا، فإنْ آمَن اليهودُ والنَّصارى وغيرُهم من الكفَّار، إيمانًا مِثْلَ إيمانِكم أيُّها المسلمون؛ فقد رَشَدُوا واهتدَوا إلى الطَّريقِ المُستقيمِ، الّذي ارْتضاه اللّه تعالى، وإنْ تَوَلَّوْا وأعرضُوا عن الإيمانِ الحقِّ، وكَذَّبوا بالأنبياءِ، فإنَّما هم في شِقَاقٍ وعِداءٍ، واللّهُ تعالى سيَكفيكَ يا مُحمَّدُ أمْرَهم، ويَدفعُ أذاهم عنكَ، وينصُرُك عليهم، فهو تعالى السَّميعُ لِمَا يقولون، العالمُ بما يفعلون، فاتَّبِعوا دِينَ اللّه تعالى، الّذي فَطَرَكم عليه ظاهرًا وباطنًا، والْزَموه، فلا دينَ أحسنُ من دين اللّه تعالى، فقُوموا به خيرَ قِيامٍ، وكونوا له خاضِعين مُتَذلِّلين[4].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

غرضُ الالتفات:

مِنْ بلاغةِ التَّراكيبِ في الآيةِ الكريمةِ مَجيئُها على سبيلِ الالتفات، فبدلَ أن يخاطِبَهم

(1) الطّبريُّ، جامع البيان: 1/101-105.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/448.
(3) البُخارِيُّ، صحيح البُخارِيِّ، كتاب تفسير القرآن، بابُ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، الحديث رقم (4485): 6/20.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 3/113-115، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 45-44.

مخاطبةً مباشرةً أعرض عن ذلك وأخبرَ عنهم، وفائدةُ هذا الالتفات الإعلامُ باستيجاب حالِهم إبعادهم من مَقام المخاطبةِ إعراضًا عنهم، وتَعديد جِناياتِهم عند غيرِهم[1].

إهـمـالُ أهـل الـكـتـابِ بـالإعـراض عن خطابِهم

بلاغةُ الاحتباكِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾، على طريقة الحذفِ التَّقابُليِّ؛ فقد حَذَفَ من الأوَّل مع اليهود الفعلَ: ﴿تَهۡتَدُواْۗ﴾؛ لدَلالة الفعلِ ﴿تَهۡتَدُواْۗ﴾ المُقترِنِ مع النَّصارى عليه ثانيًا، وحذَفَ من الثّاني الفعلَ: ﴿كُونُواْ﴾؛ لدَلالة الفعلِ ﴿كُونُواْ﴾، المُقترِنِ مع اليهودِ عليه أوّلًا، وبهذا انطوَت الآيةُ على الاحْتباك، بحذفٍ في كُلٍّ منهما، ما دلَّ عليه المذكورُ في الآخَرِ.

مِلَّةُ الكفر واحدة في مـواجـهـة الإسلام

وهذا الحذف من الإيجاز، وتقديرُ الآيةِ الكريمة: قالت اليهود: كونوا هودًا ﴿تَهۡتَدُواْۗ﴾، وقالت النَّصَارَى: ﴿كُونُواْ﴾ نصارى تهتدوا[2].

وفائدة الاحْتباك[3] بيانُ أنَّ الكفرَ كُلَّه مِلَّةٌ واحدةٌ؛ فقد اجتمعت كلمةُ اليهودِ والنّصارى على كلمةٍ واحدةٍ.

وممَّا يَعضُدُ هذا التَّقديرَ: أنَّ (الواوَ) في: ﴿وَقَالُواْ﴾ عائدةٌ على اليهود أوّلًا، وعلى النَّصارى ثانيًا، وتَوَزَّعَ القولُ عليهما، قال أبو السُّعودِ: "ليس هذا القولُ مَقولًا لكلِّهم، أو لأيِّ طائفةٍ كانت من الطَّائفتَين، بل هو مُوزَّعٌ عليهما، على وجهٍ خاصٍّ يَقتضيه حالُهما، اقتضاءً مُغنيًا عن التَّصريح به، أي: قالتِ اليهودُ كونوا هودًا، والنَّصارى كونوا نصارى"[4].

الاحتباك يحثُّ الـمُتلقِّي على الـبـحـث عـن المحذوف

وفي هذا الاحتباكِ أيضًا: تَنْبيهُ المُتلقِّي إلى البحث عن المحذوف، فيَجعلُه يَتجاوبُ مع ما يَقرَأ، فترسُخُ المعلومةُ في نفسه،

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/165.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 3/101.
(3) الاحتباك: "أن يُحذف من الأوَّل ما أُثبتَ نظيرُه في الثَّاني، ومن الثَّاني ما أُثبت نظيره في الأوّل"، السُّيوطيُّ، الإتقان: 3/204.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/165.

ويَقِلُّ نِسيانُه، وهذا مَطلبٌ من مطالب الحَذْفِ في القرآن الكريم، وهي غايةُ البلاغةِ، المُتمثِّلةِ في استثمارِ أقلِّ ما يُمكِنُ من الألفاظ، في أكثرِ ما يُمْكِنُ من المعاني.

دلالةُ استعمالِ حرفِ العطفِ (أو):

استقلالُ كلِّ من اليهود والنَّصارى في الدَّعوةِ إلى دينِه

استُعمل حرفُ العطف ﴿أَوْ﴾ دونَ غيرِه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ لِما يَحملُه من معانٍ ودَلالاتٍ، لا يُؤدِّيها غيره من حروف العطفِ؛ فجاء حرفُ ﴿أَوْ﴾ للإيضاح وتَفصيلِ الإجمالِ في الفعل: ﴿وَقَالُواْ﴾[1]، ويُطلَقُ عليه أيضًا: اللَّفُّ والنَّشْرُ المُجْمَلُ، فضميرُ الجماعةِ الفاعلِ (الواو) في: ﴿وَقَالُواْ﴾، يَشمَلُ فريقَين مِنْ أهل الكتاب، فهو عائدٌ على اليهود أوّلًا، وعلى النَّصارى ثانيًا، ويُوزِّعُ القولَ عليهم؛ لأنَّ كلَّ فريقٍ، يَعُدُّ دينَ الآخَرِ باطلًا، ذلك أنَّ اليهودَ قالت على وجه الإفراد، والنَّصارى قالت على وجه الإفرادِ أيضًا، ولم يَقُلْ كلُّ فريقٍ منهُم: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا، فلمَّا أَجْمَلَ في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾؛ جاءَ بـ﴿أَوْ﴾ لِلتَّفصيلِ؛ إذ كانت موضُوعَةً لأَحد الشَّيئَينِ[2].

أثرُ حرفِ الإضرابِ في تقرير المعاني:

إبطالُ عقائدِ أهلِ الكتابِ بما ينتسبون إليه

لـمَّا جاء قولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾، في بيانِ دَعوةِ اليهود والنَّصارى المؤمنين لاتِّباع مِلَّتِهم، وبيانِ عقيدةِ الفريقَين في تَفرُّقِهما وضلالِهما، ناسَبَ المقامَ التَّعبيرُ بحرفِ الإضراب ﴿بَلْ﴾، في الآية الكريمة: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾؛ لإبطال عقيدتِهم ومزاعمِهم، ولفْتِ نظر النَّبيِّ ﷺ، إلى البرهان الأقوى في إقامة الحُجَّة عليهم، بمِلَّة سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام.

(1) المرتضى، أمالي المرتضى: 2/55، والعكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 1/120، والمراديّ، الجنى الدّاني، ص: 229، والزّركشّي، البرهان في علوم القرآن: 4/210.

(2) العكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 1/105.

فحرفُ الإضرابِ ﴿بَلْ﴾، ردَّ عليهم بإثبات أنَّ سيِّدَنا إبراهيمَ عليه السلام ليس يهوديًّا ولا نصرانيًّا[1]، وهو دليلٌ على أنّ مِلّتَه عليه السلام، مُخالفةٌ لليهوديَّة والنَّصرانيَّة[2]، وأنَّ اليهودَ والنَّصارى لا يكونون متَّبعين لملَّةِ إبراهيم إلَّا أن يكونوا على دينِ محمَّدٍ ﷺ.

فيكون المعنى: "بَلْ نَتَّبِعُ، أَو اتَّبِعوا مِلَّةَ إبراهيمَ، الّذي لا نزاعَ في هُداهُ ولا في هَدْيِه، فهي المِلَّةُ الحَنِيفيَّةُ القائمةُ على الجادَّةِ، بلا انحرافٍ ولا زَيْغٍ، العريقةُ في التَّوحيدِ والإخلاصِ، بلا وثنيَّةٍ ولا شِرْكٍ"[3].

بلاغة الفاصلة القرآنيّة في تقرير المعاني السّياقيّة:

إبطالُ عَقيدةِ المُشْرِكين، إثر إبطالِ عقائد أهل الكتابِ

جاءت الفاصلةُ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ على غاية البلاغةِ، ومنتهى البراعةِ، فقد حقَّقت مجموعةً من المعاني البيانيَّة:

أفادَت الفاصلةُ احتراسًا من توهُّم قد يقعُ في ذهنِ المُشركين، فلمَّا قال تعالى قبلَها: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾، فأبطلَ عقيدةَ اليهودِ والنَّصارى، وأثبتَ عقيدةَ إبراهيمَ عليه السلام، جاء هذا الاحتراسُ، ليدفعَ توهُّمَ أنْ تكونَ الحنيفيَّةُ قائمةً على الشِّرْكِ، قال ابنُ عاشورٍ: "وهو احتراسٌ؛ لِئلَّا يَغْتَرَّ المُشركونَ بقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾، أَي: لا نكونُ هُودًا ولا نصارى، فيَتَوَهَّمُ المُشركونَ أَنَّهُ لم يَبْقَ من الأَديانِ إلَّا ما هُم عليه، لأَنَّهُم يَزعُمونَ أَنَّهُم على مِلَّةِ إبراهيمَ، وإلَّا فليس ذلك من المَدْحِ له، بعد ما تقدَّمَ مِن فضائلِه"[4].

التَّعريضُ باليهود والنَّصارى وإبطالُ عقيدتهم

وأفادت تعريضًا باليهود والنَّصارى، وبطلانَ دَعواهم، في اتِّباع إبراهيمَ عليه السلام، لشِرْكِهم باللّه تعالى، وكفرِهم به؛ وذلك بقولهم: عزيرٌ ابنُ اللّه، والمسيحُ ابنُ اللّه[5]، فضلًا عمَّا فيه من

(1) السّيوطيّ، قطف الأزهار: 1/330.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/647.
(3) محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم: 1/395.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/736.
(5) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/194.

تكذيبهم، وردٌّ مزاعمِهم بأنَّهم على الحقِّ، فالفاصلة عرَّضت بأنَّ اليهوديَّة والنصرانيَّة المُحرَّفتَين نوعٌ من الشِّرك؛ لأنَّ مجيءَ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في مُقابِلِ دَعوتِهم إلى اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، يَدُلُّ على أنَّهما نوعٌ من الشِّرْك[1].

التّأكيدُ المعنويُّ لمعنى الحنيفيَّة

ومِنْ بلاغة الفاصلة: أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، جاء تأكيدًا لقوله تعالى: ﴿بل مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾؛ لأنَّ (الحنيفَ): المائلُ عمَّا سوى التَّوحيد، فسيِّدُنا إبراهيمُ عليه السلام، ما كان أبدًا من المُشركين؛ لأنَّ (كان): تَدُلُّ على اتّصافِ اسمِها بخَبرِها، فقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، يعني أنَّ هذا الوصفَ مُنْتَفٍ عنه؛ وقولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يَعُمُّ انتفاءَ الشِّركِ الأصغرِ والأكبرِ عنه، فهذه هي المِلَّةُ الّتي يتَّبعُها النَّبيُّ محمَّدٌ، ﷺ، ويتَّبعُها المسلمون، وهي المِلَّةُ الحَنيفيَّةُ الحقيقيَّةُ الّتي تُوصِلُ العبدَ إلى ربِّه[2].

بلاغةُ الطِّباقِ الخفيِّ:

الجمع بين المتضادّات يُبرزُ الحقَّ ويُوضِّحُه

من بديعِ نسيجِ الآيةِ الكريمةِ: الطِّباقُ الخفيُّ[3] بينَ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، فلمَّا ثَبَتَ بالإضراب بـ (بل)، ومفهومِ المُخالفة وغيرِها من الأدلة العقليّة والنَّقليّة، أنَّ اليهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ شِرْكٌ، كان في مجيءِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ طباقٌ خفيٌّ؛ لأنَّه جَمَعَ بين الشَّيءِ وما يَتعلَّقُ بضدِّه، فقد جمع بين التَّوحيد المُتمثِّلِ بالحنيفيَّةِ وعدمِ الشِّرك في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وما يتعلَّقُ بضدِّه، وهم اليهود والنَّصارى، وما هم عليه قبلَها في قوله: ﴿كُونُوا۟ هُودًا

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/71.

(2) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم- سورة البقرة: 2/84.

(3) هو ما تكونُ فيه المطابَقةُ خفيَّةً؛ لتَعلُّقِ أحدِ الرُّكنَين، بما يقابِلُ الآخرَ تَعلّقَ السَّببيّةِ، نحو قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]؛ فالرَّحمةُ ليستْ مُقابِلةً للشِّدَّة؛ لكنّها مُسبَّبةٌ عن اللِّين، الّذي هو ضِدُّ الشِّدّة، ينظر: محمّد قاسم، ومحيي الدّين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص: 68.

﴿أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾، فهم أهل الشِّرك والضَّلال، وبهذا قابلت الآيةُ بين أهل الشِّرك وأهلِ التَّوحيد، وبين الباطلِ والحقِّ.

دلالةُ إفرادِ فعل القول وجمعه:

بناءُ إيمانِ الأمَّةِ على إيمانِ نبيِّها؛ لتُرفع قواعدُ المتابعةِ على بصيرةٍ

لسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ إفرادِ فعلِ القول في خطابِ النَّبيِّ ﷺ في الآية السّابقة في قوله: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾، في حينَ جاء به بصيغة الجمعِ في قولِه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؟

والجواب: أنَّ إفرادَ الضَّميرِ في الكلام المُوجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ؛ مزيدُ اختصاصٍ بمُباشَرة الرَّدِّ على اليهود والنَّصارى؛ لأنَّه مبعوثٌ لإرشادِهم وزجرِهم، وجَمْعَ الضَّميرَ في الكلام الّذي للأمَّة؛ لمزيدِ الاختصاص بمَضمونِ المأمورِ به، في سِياق التَّعليم في قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، فضلًا عن أنَّ صيغةَ الجَمعِ في الفعل (قُولُوٓاْ) تَشمَلُ النَّبيَّ ﷺ والمسلمين؛ لأنَّه ﷺ قَدْ عَلِمَ ذلك مِنْ قبلُ، فيما تضمَّنَتْهُ علومُ الرِّسالة، ولذلك لَم يَخْلُ واحدٌ مِنْ هاتِهِ الكَلمات، عن الإيذانِ بشُمولِ الأُمَّةِ مع النَّبيِّ[1].

ولبناءِ الخطابِ الثَّاني (الجمع) على الأوَّلِ (الإفراد)، فإنَّ الإيمانَ بملَّة إبراهيم عليه السلام واتِّباعَها، هو أصلُ الإيمان بما أُنزل من عند الله جميعِه.

دَلالة فعل الأمر ﴿قُولُوٓاْ﴾ خطابًا للمُؤمنين:

تتميمُ البيانِ في أمرِ الإيمانِ بملَّة إبراهيم عليه السلام

مِنْ بلاغةِ الآيةِ الكريمة: الإنشاءُ الطَّلبيُّ بفعل الأمر ﴿قُولُوٓاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، والأمرُ بالقول أمرٌ بما يَتَضَمَّنُه، إذ لا اعْتدادَ بالقول إلّا لأنَّه يُطابقُ الاعتقادَ، والمقصودُ من فعل الأمر ﴿قُولُوٓاْ﴾ الإعلانُ به، والدَّعوةُ إليه، لِمَا يَشتَمِلُ عليه من الفضيلة الظّاهرةِ، بحُصول فضيلةِ سائرِ الأديان لأهلِ الإسلام،

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/72، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/738.

ولِمَا فيه من الإنصافِ وسلامةِ الطَّويَّةِ؛ ليَرْغَبَ في ذلك الرَّاغبونَ، ويَكْمَدَ عند سماعه المُعانِدُونَ، وليكونَ فعلُ القولِ هذا احتراسًا بَعْدَ قَوْلِه: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ أي: نحن لا نَطعَنُ في شريعةِ موسى وشريعةِ عيسى، وما أُوتيَ النَّبيّونَ، ولا نُكَذِّبُهم، ولكنَّا مُسلمونَ للَّهِ تعالى، بدينِ الإسلامِ الّذي بقيَ على أَساسِ مِلَّةِ إبرَاهيمَ عليه السلام، وكانَ تَفصيلًا لها، وكمالًا لِمُرادِ اللَّهِ تعالى منها، حينَ أَرادَ اللَّهُ تعالى إكمالَها، فكانت الشَّرائعُ الّتي جاءت بعدَ إبراهيمَ عليه السلام كَمُنْعَرِجَاتِ الطَّريقِ، سُلِكَ بالأُممِ فيها، لمصالحَ ناسبت أَحوالَهم وعُصُورَهُمْ، بعد إبراهيمَ[1] عليه السلام.

ترتيبُ الأنبياءِ زَمانيًّا ودلاليًّا على طريقة التَّدلّي:

ترتيبُ الأنبياءِ في الـذِّكـر مقصودٌ لذاتِه غيرُ مُتوقِّفٍ على التَّاريخِ

مِنْ بلاغةِ التَّرتيبِ في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: تقديمُ الأنبياءِ بعضِهم على بعضٍ على طريقة التَّدَلِّي[2]؛ بذكر الأقدمِ، ثمّ الّذي يَليه زمنيًّا، فقد ذكر أوّلًا: ما أُنزلَ على سيِّدنا إبراهيم، لفَضْلِهِ وأُبُوَّتِه؛ للاهتمامِ وبيانِ شِدَّةِ العنايةِ به، على سَنَنِ العرب، في تقديم الأهمِّ حَسَبَ المَوقفِ؛ فهو أبو الأنبياء كلِّهم، وهو أصلُهم ورُكنهم، فضلًا عن دخول شرائعِ الأنبياءِ كلِّهم تحتَ شريعته[3] عليه السلام.

ثمَّ تقديم ابنِه إسماعيل، الابنِ البِكْرِ الأكبرِ على أخيه إسحاق، وقدَّمَ إسحاقَ على ابنه يعقوب، وقدَّمَ يعقوبَ على الأسباط، ثمَّ ذَكَرَ مَنْ جاء بعدَهم: موسى ثمَّ عيسَى عليهما السلام جميعًا، وهذا التَّرتيبُ مَقصودٌ في هذا السِّياق بالإضافةِ إلى لِحاظِه الزَّمنيِّ، إذ جاء بتَرتيبِ الأنبياءِ حَسَبَ التَّرتيبِ الزَّمنيِّ، فضلًا أنَّ فيه دَلالةً على دُخول الأنبياءِ بعد سيِّدنا إبراهيمَ، إذ هم داخلون في شَريعتِه.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/738.
(2) التَّدليّ: هو أن يُذكرَ الأعلى، ثمّ الأدنى لنُكتةٍ، يُنظر: السّيوطيّ، الإتقان: 3/46.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/650، وباختصار.

سِرُّ التَّعبير بـ ﴿أُنزِلَ﴾ و﴿أُوتِيَ﴾:

مِنْ دقائق التَّعبيرِ القرآنيِّ في الآية الكريمة: التَّعبيرُ بالفعل: ﴿أُنزِلَ﴾، وبالفعل: ﴿أُوتِيَ﴾، فقد استُعمل: ﴿أُنزِلَ﴾ مع الأنبياء أوّلًا في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾، ثمّ استُعملَ: ﴿أُوتِيَ﴾ مع موسى وعيسى عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[1].

الإشـــارةُ إلى مزيدِ عنايةٍ بهذه الكتبِ، للحذرِ عنـد الحديث عنها

ومِنْ عِلَلِ التعبير بفعل الإيتاءِ مع موسى وعيسى، دون فعلِ الإنزال، الاهتمامُ بهما، فالفعل: ﴿أُوتِيَ﴾ أبلغُ وأَدَلُّ؛ لكونه المقصودَ منه، ولأنَّه أعمُّ وأوسعُ، فهو يُستعمَلُ للكتب وغيرها، مثل المعجزات، وفيه من الدَّلالة على الإعطاء الحِسِّيِّ الّذي فيه شِبْهُ التَّمليكِ والتَّفويضِ[2]، ولهذا المعنى الحِسِّيِّ عَبّرَ بالإيتاء؛ لأنَّ ظهورَ المعجزاتِ الفعليَّةِ على يد موسى وعيسى عليهما السلام أكثرُ وأشهرُ من ظهورها على يد إبراهيمَ ويعقوبَ وإسحاقَ، فموسى ضَرَبَ البحرَ، فانْفَلَقَ، وألقى العصا، فانقلبت ثُعبانًا، وأخرج يدَه، فصارت بيضاءَ من غير سُوءٍ، وغيرها من الآيات، وعيسى كان يُبرئُ الأَكْمَهَ والأبرصَ، ويُحيي الموتى بإذن الله، فناسبَ لفظُ الإنْزالِ سَيِّدَنا إبراهيمَ عليه السلام وأولادَه؛ فإنَّ اشتهارَهم بإنزال الوحيِ أكثرُ من اشتهارهم بالمعجزات، فغيّرَ الأسلوبَ؛ تفضيلًا لِمَا لهما من الكتابَين والمعجزاتِ، وغيرِ ذلك[3].

وللإشارةِ إلى أنَّ أكثرَ الأتباعِ هم من أتباعِ موسى وعيسى عليهما السلام، فهي من باب تنبيه الأتباعِ على كتب المتبوعين، وأنَّ عليهم مزيدَ مسؤوليَّة في الإيمانِ برسولِ الله ﷺ، وهي إشارةٌ كذلك إلى هذه الأمَّة بأنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ يجبُ الإيمانُ بهما على وجهٍ أخصّ؛ لما قد يصدر عن بعض المؤمنين من مشاحنةٍ مع اليهود والنَّصارى قد تمتدُّ إلى كتبِ القومِ فيقعُ المحذورُ، وأُجري ما بعده بذكر الإيتاءِ لا الإنزال على عموم النَّبيّين باعتبارِ أنَّ معظمهم من أنبياءِ بني إسرائيل.

(1) ابن مالك، شرح التَّسهيل: 3/362.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/392.
(3) ابن عرفة، تفسير الإمام ابن عرفة: 1/175.

دلالةُ تقديمِ القُرآنِ على سائرِ الكُتُبِ السَّماويَّة:

تقديمُ الأصلِ المُهيمِنِ الذي لا يُقبلُ الإيمانُ بِسواه ما لم يُؤمَنْ به

مِنْ بلاغة الآية الكريمة: تقديمُ الإيمانِ بالقرآن على باقي الكتب السّماويَّة، المُنزَّلةِ على الأنبياء عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾، فقدَّمَ القرآنَ، مع أنَّ إنزالَه مُتأخِّرٌ عن باقي الكتب السَّماويَّة، فهي أسبقُ منه، اهتمامًا بهذا الكتابِ العظيم، وتشريفًا له، ولاختصاصِه بالمسلمين، ولبيانِ أنَّه سببُ الإيمان بغيره من الكتب السّماويَّة؛ لكونه مُصدِّقًا لها، فيكون بذلك أولى بالذِّكر؛ ولأنَّ النَّاسَ بعدَ بعثة النَّبيِّ ﷺ مأمورون بالإيمان به جُملةً وتَفصيلًا[1].

ولبيانِ أنَّ الإيمانَ ببقيَّة الكتبِ قائمٌ على الإيمانِ بالقرآنِ الكريم، فكيف لمسلم أن يُؤمنَ بالكتبِ السَّابقةِ ما لم يُؤمنْ بالقرآن؟! ولأنَّ هذا الكتابَ هو النَّاسخُ للشَّرائع السَّابقة والمهيمنُ عليها، فتقديم الإيمان به من باب تقديم الأصلِ المهيمن على غيره.

الإجمالُ بعد التَّفصيل:

بيانُ وسطيَّة هذه الأمَّة وتطرّفِ غيرها

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ تفصيلٌ في ذكرِ الأنبياء، وفي قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ إجمالٌ؛ فقد ذكرَ أوَّلًا على وجه الخصوص، أسماءَ عددٍ من الأنبياء، ثمّ ذكرَ لفظًا عامًّا مجملًا، يَشمَلُ كلَّ هؤلاءِ الأنبياء[2].

وفيه فوائدُ عِدَّةٌ، منها: العناية بذكر أسماءِ الأنبياء وتعيينِهم ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، إظهارًا لمَكانتهم الرَّفيعة عليهم السلام، واهتمامًا بهم، فقد ذُكروا مرَّتين، مرّةً على وجه الخصوص، ومرَّةً ثانيةً على وجه العموم في دخولِهم تحت اللَّفظِ العامِّ: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 1/392.

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/649، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 1/166.

وفيه بيانُ فضيلة هذه الأمَّة بين الأمم في موقفِها من جميعِ الأنبياءِ؛ فاليهودُ آمنوا بالأنبياء، وكفروا بمحمَّدٍ وعيسى عليهما السلام، والنَّصارى آمنوا بالأنبياء، وكفروا بمحمَّد ﷺ[1]، وهذه الأمَّة آمنت بجميعِ الأنبياءِ ولم تكفر بأحدٍ، وهذا هو معنى وسطيَّتِها وتطرُّف غيرِها.

بلاغةُ جملةِ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾:

التَّعريضُ بمن يُفرِّق بين أنبياء الله تعالى

في قولِه تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، إيماءٌ وإشعارٌ بذمِّ من يُفرِّق بين أنبياء اللّه، وأنَّه واقعٌ في الإثم العريض، بخلافِ هذه الأمَّة، ومجيءُ لفظ ﴿أَحَدٍ﴾ أفاد التَّنكيرُ العمومَ والشُّمولَ، وقد نُزِّل المُفردُ مَنزلةَ الجمْعِ، في تناوله الآحادَ مُطابقةً؛ لأنَّ لفظ: ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجَماعة؛ ولذلك صحَّ دخول: ﴿بَيْنَ﴾ عليه[2].

ولأنَّ النَّكرةَ الواقعةَ في سِياق النَّفي تُفيدُ العمومَ لفظًا، ولأنَّ: ﴿أَحَدٍ﴾ اسمٌ موضوعٌ لمَنْ يَصلُحُ أن يُخاطَب، ويستوي فيه المفردُ والمثنّى والمجموعُ والمذكَّرُ والمؤنَّث، إذا كانت همزتُه أصليَّةً، وعلى أنَّها مُبدَلةٌ من الواو، فهو بمعنى (واحد)، وعمومُه؛ لوقوعه في حيِّزِ النَّفي[3].

تشابه الأطراف في الفاصلة ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾:

التّأكيد على معنى الإيمان والاستسلام المطلق لله

جاءت الفاصلةُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، لِتُؤكِّدَ معنى الآيةِ، الّذي تضمَّن الدَّعوةَ إلى الإيمان باللّه، والتَّسليم بكلِّ كتبِه ورسلِه، فقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، مندَرجٌ تحتَ قولِه تعالى أوّلَ الآية: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، على طريقة تَشابُه الأطراف، فلمَّا ذكرَ ما يتعلَّق بالقلب أوّلًا، وهو الإيمانُ، أي: التَّصديقُ، ناسَبَ أنْ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/110.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/195، والآلوسّي، روح المعاني: 1/393.
(3) ابن المُنَيِّر، الانتصاف: 1/195.

يَختِمَ الآيةَ بذكر الإسلام، وهو الانقيادُ النَّاشئُ عن الإيمانِ الظَّاهر على الجوارح، فجَمَعَ بين الإيمانِ والإسلام، ليَجتمعَ الأَصلُ، والنَّاشئُ عن الأَصل[1].

فالفاصلةُ بيَّنَتْ: أنَّ المُسلمَ لا بدَّ أن يكونَ مُستسلِمًا للّه بقلبه ولسانه وجوارحه، فيَستسلِمُ قلبُ المرءِ للّه تعالى محبَّةً وتعظيمًا وإجلالًا، ويَستسلِمُ لسانُه لِما أَمَرَه اللّهُ تعالى أنْ يقولَ، وتَستسلِمُ جوارحُه لِمَا أَمَرَه اللّهُ تعالى أنْ يفعلَ[2].

وجاءَت الفاصلةُ أسلوبًا خَبَريًّا مُؤكَّدًا باسميّة الجملة الدَّالّة على ثباتِ الوصفِ لهم ودوامِه: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، وتقديم ما حقُّه التَّأخيرُ، فقد قدَّم شِبهَ الجُملةِ ﴿لَهُۥ﴾ على عامله ﴿مُسۡلِمُونَ﴾، والأصلُ: ونحن مسلمون له، وهذا التَّقديمُ أفادَ: القصرَ بتخصيص الاستسلام المُطلَق للّه تعالى وحدَه، فضلًا على أنَّ فيه تحسينًا لفظيًّا للفاصلةِ والاهتمامَ بالمُقدَّم[3].

توجيه المُتشابه اللَّفظيّ:

الخطاب في الموضعين بين العموم والخصوص

تشابهت بدايةُ هذه الآية الكريمة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ مع آيةِ سورةِ آلِ عمرانَ، في قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

فبين الآيتين تشابهٌ لفظيٌّ في ثلاثةِ مواضعَ[4]:

الأوّل: أنَّه جاء بفعل القول بصيغة الجمع، في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، في حينَ جاء مُفردًا في سورة آل عمرانَ: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وسِرُّ ذلك: أنَّ آيةَ البقرةِ جاءت عامّةً، والفعلُ ﴿قُولُوٓاْ﴾ أمرٌ لجميع المُخاطَبين المقصودين بهذا الخطاب، أمَّا آيةُ آلِ

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/651-652.
(2) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم: 2/91.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 2/322.
(4) الإسكافيّ، درّة التّنزيل، ص: 298، والكرمانيّ، أسرار التّكرار، ص: 71، والغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/52-53، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/188، وبتصرُّف.

عمرانَ، فأفردَ الفعلَ ﴿قُلْ﴾؛ لأنَّه أمرٌ للنَّبيِّ ﷺ، فلَحِقَ ضميرُ الجَمعِ أوّلًا لخطابهم، ولم يَلحَقْ في الثّاني؛ لإفراد الخطابِ، وضميرُ الواحد لا يبرزُ.

الثّاني: أنَّه عُدِّيَ الفعل أنزل بـ (إلى) في البقرة ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، في حينَ عُدِّيَ الفعل بـ (على) في آل عمرانَ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وبيانُه: أنَّ آيةَ البقرة عُدِّيَ الفعلُ ﴿أُنزِلَ﴾ بـ (إلى)، لمّا قيلَ قبلَه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وهو أمرٌ للنَّبيِّ ﷺ ومَن اتَّبَعَهُ على التَّشريك، وإذا كان الأمرُ للجميع، وجرى على حقيقته، فإنّما أُنزِلَ إليهم، لأنّ المُنزَلَ عليه حقيقةً هو الرَّسولُ، لا المؤمنونَ، ولمّا قال في آل عمران: ﴿قُلْ﴾، وكان الخطاب للنّبيِّ، ناسَبَهُ تَعْدِيَةُ الفعلِ بعلى (عَلَيْنَا)؛ لأنَّه أنزِلَ عليه، فجاء كلٌّ على ما يَجِبُ.

الثّالثُ: أنَّه كرَّرَ الفعلَ: ﴿أُوتِيَ﴾ في البقرة ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾، في حينِ لم يَذكرْه واكتفى بالعطف في آل عمرانَ ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 84]، وعلَّةُ ذلك: أنَّه كرَّرَ الفعلَ ﴿أُوتِيَ﴾ في البقرة؛ لأنَّ الأمرَ في البقرة، لـمَّا كان للرُّسل وللمؤمنين، ناسبَه تأكيدُ ذِكرِ الإنزالِ على النَّبيِّين؛ لأنَّ المؤمنين لا يُفرِّقونَ بينَ أحدٍ منهم، وقد فرَّق غيرُهم، فناسَبَ حالَهم، وسَجَّلَ إيمانَهم بالجميع، تأكيدُ مقالِهم وتَثبيتُ اعتقادِهم، فقالوا: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾، أمَّا في آل عمرانَ: فلمَّا توجَّه الأمرُ ببادئ الخطابِ من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصًّا به، وبعدَ ذلك وقعَ التَّعميمُ، ناسَبَه عدمُ التّأكيد؛ لتَنزُّه النَّبيِّ ﷺ حالًا ومَقامًا، عن التَّفريق بين أحدٍ من الرُّسلِ.

دَلالةُ اقترانِ الشّرط بالفاء، في قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾:

في التَّعبير بأسلوبِ الشَّرطِ المُقترِنِ بالفاء ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾: تَبْكيتٌ لأهل الكتاب من اليهود والنَّصارى، بإلجائهم إلى الاعترافِ بالحقِّ، بإرخاءِ العَنانِ وسَدِّ طُرُقِ المَجادلةِ عليهم؛ لأنَّ دينَ الحَقِّ واحدٌ، لا مِثْلَ لهُ، وهُوَ دينُ الإسلامِ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85][1].

إقامةُ الحجَّةِ على أهلِ الكتاب، بإبطالِ مذهبهم

وفيه: تقريعٌ لهم بإبطالِ دينِهم، القائمِ على الشِّرك والضَّلال،

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/195.

وإثبات أنَّ الدِّينَ الحقَّ واحدٌ، وهو الإسلامُ، وما سواه باطلٌ وضلالٌ؛ لأنَّ الفاءَ في أوَّل الآية هي لتَرتيب ما بعدَها على ما قبلَها، وبوجودِها في أوّل الآية، أقيمَتِ الحجَّةُ عليهم، لإعراضهم عن الإسلام، وقد دلَّ مفهومُ الشَّرط المُقترن بها، على أنَّهم غيرُ مؤمنين، ولا على الهَدي المستقيم، ما داموا على غير مِلَّة الإسلام[1].

سرُّ التَّعبيرِ بأداةِ (إنْ) دون (إذا):

الإشارةُ إلى غيبِ المستقبلِ

استعملَ النَّظمُ القرآنيُّ (فَإِنْ) دون (إذا) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الدَّالّة على الشَّكِّ في تحقُّقِ الوقوع، وفائدةُ ذلك بيانُ أنَّ إيمانَهم غيرُ مَرجُوٍّ، ومَشكوكٌ في حُصوله ووُقوعِه منهم[2]، ففيه إشعارٌ بموقفهم المستقبليِّ، وأنَّهم ما بين مؤمنٍ ومتولٍ.

سِرُّ تقديمِ شرطِ الإيمانِ على شرطِ التَّولِّي:

القيمةُ الهدائيَّةُ لـبراسُ النَّـظـمِ وأصلُ الكلامِ

قدَّم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ شرطَ الإيمان ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ على شرطِ التَّولِّي ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ لنكتةٍ بيانيَّةٍ قائمةٍ على قيمةٍ هدائيَّةٍ، وهي أنَّه وإن كان أولئك لا يُتوقَّعُ منهم الإيمانُ إلَّا القليل، فإنَّ من شأنِ هذا القليل أن يُحرَصَ عليه؛ فالآيةُ تُعلِّمُ المؤمنين الاستبشارَ بإيمانِ الآخرين، مَهما عادَوْا ومَهْما عاندوا، فإنَّ الإيمانَ متوقَّعٌ وإن كان المقابلُ معاندًا؛ فالآيةُ تحثُّ المؤمنين على الحرصِ على هدايةِ الآخرين والاجتهاد في ذلك، ورجاء الخير لهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/740.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/195، وبتصرُّف.

سِرُّ القصرِ بإنَّما في قولِه: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾:

الإشـــارةُ إلى الشِّقاقِ الواقعِ، والإخـبـارُ عن شقاقٍ أشدّ

جاء أسلوبُ القَصْرِ الإضافيِّ بـ (إنَّمَا)، الواقعِ في جوابِ الشَّرطِ المُقترنِ بالفاء، في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، إذ قَصَرَتْ هذه الجملةُ أهلَ الكتابِ على الشِّقاقِ والخِلافِ والعَداوةِ في غير الحقِّ - إنْ هم تولوا -، مُبالِغةً في وصفهم بالشِّقاقِ، وبيانِ شدَّة مخالفتِهم وعداوتهم للمسلمينَ، فالقصرُ بإنَّما يُؤتى به عند معرفةِ المخاطَبِ بمضمونِ الخطاب، وهذا يزيد من معنى التَّأكيد فيها، ففيه بيانٌ أنَّهم في شقاقٍ قبل التَّولية، وأنَّهم بعد التَّوليةِ في شقاقٍ أشدّ.

وأكَّدَ الجُملةَ الواقعةَ شَرطًا بإنَّ، وتأكَّدَ معنى الخبرِ ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ الذي أفادَ قوَّةَ التَّمكّنِ والإحاطةِ؛ إذ جَعَلَهَ مُستوليًا عليهم، استيلاءَ الظَّرفِ على ما يُوضَعُ فيه، بحيث صار ظَرفًا لهم وهم مَظْروفونَ له؛ كأنَّ الشِّقاقَ مُستَولٍ عليهم من جميعِ جوانبِهم، ومحيطٌ بهم، إحاطةَ البيت بمَن فيه، بأسلوبٍ بليغٍ[1].

بلاغة الفاءِ في قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ودلالاتها البيانيَّة:

حـاجـةُ المـؤمـنِ للإعانةِ الإلهيَّة من تمامِ التَّوكُّلِ

من بديعِ نسيجِ الآية الكريمة: التَّفريعُ بقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ إذ فرَّعَ هذه الجُملةَ على ما سبقَها وهي: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، لتَسلية النَّبيِّ ﷺ وتَثبيته، وتَفريح المؤمنين بوعد النُّصرةِ والغَلَبَةِ، وضمانِ التّأييد لهم[2]؛ لأَنَّ إعلامَهُ بأَنَّ هؤلاءِ في شقاقٍ، مع ما هو معروفٌ مِنْ كَثرتِهم، وقُوَّةِ أَنصارِهم، ممَّا قد يَتَحرَّجُ له السَّامعُ، فوعدَه اللَّه بأَنَّه يَكفيهِ شَرَّهم الحاصلَ من تَولِّيهم[3]، فأفادتِ الفاءُ سرعةَ وقوعِ الكفايةِ، وأفادت وقوعَ الشِّقاقِ، وأنَّه ليس

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/653.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/394.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/741.

بأمرٍ متوقّعٍ، بل هو أمرٌ واقعٌ، ونستطيع حملَ الفاءِ على أن تكون فصيحة، بمعنى: إن وقع منهم شقاقٌ فسيكفيكهم الله، وعلى الاحتمالين فإنَّ الكفايةَ متحقّقةٌ، والطَّمأنينةَ ثابتةٌ، وفيها بيانُ حاجةِ قلبِ المؤمنِ إلى التَّسلية والتَّثبيت بالإعانةِ الإلهيَّة، وأنَّ ذلك لا يقدحُ في التَّوكُّلِ على الله؛ لأنَّه إذا كان وحدَه تعالى هو الكافي والحافظُ، فيَجِبُ أنْ يكونَ التوكّلُ والاعتمادُ عليه وحدَه[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بـ (السِّين) دون (سوف) في ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾:

اقـتـرانُ الـفـاءِ الـتَّـعـقـيـبـيَّـةِ بالسِّين يدلُّ على قـرب الـكـفـايـةِ وسرعتِها

وممَّا أكَّد معنى التّسليةِ والتَّثبيتِ إيثارُ التَّعبيرِ بـ (السِّين)، دون (سوف) بعد فاء التَّفريع فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾، وهذا مُشعِرٌ بتعقُّب الكفاية عقيبَ شقاقِهم مباشرةً دون مُهلةٍ، والمجيءُ بالسِّين يَدُلُّ على قُرب وقوع الكفايةِ لا مَحالةَ؛ وتحقيقِ وعد اللَّه تعالى، بأنَّه يَكفي النَّبيَّ ﷺ ومَنْ معه سُوءَ شِقاقِهم وشرَّه؛ لأنَّها أقربُ في التَّنفيس مِنْ (سوف)[2].

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنيَّة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

الـجـمـعُ بين وعيدِ الكافرين، ووعدِ النَّبيِّ ﷺ بالنُّصرةِ

جاءت الفاصلةُ القرآنيّةُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تذييلًا مُقرِّرًا لِمَا سَبَقَ من الوعد في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ومُؤكِّدًا له، فالله تعالى لمَّا وَعَدَ نبيَّه بالنُّصرةِ والمعُونةِ، أَتْبعَهُ بما يَدُلُّ على أَنَّ ما يُسِرُّونَ وما يُعلنونَ من هذا الأَمرِ، لا يخفى عليهِ تعالى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]؛ فالتَّذييلُ يَتضمَّنُ أمرَين:

الأوّل: أنَّه وعيدٌ للكفَّار، بأنَّه سبحانه سميعٌ بما يَنطِقون به من الأذى والمَكائد والغِلِّ، عليمٌ بما يُضمِرونه في قلوبهم، ممَّا لا خيرَ فيه، وهو معاقبُهم عليه، فلا يَقَعُ منهم أَمرٌ؛ إلَّا وهو تعالى قادرٌ على كِفايتِهِ.

(1) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم: 2/95.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/654.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/168، والآلوسّي، روح المعاني: 1/395.

والآخر: أنَّه وعدٌ للنّبيِّ ﷺ، والمعنى: أنَّه تعالى السَّميعُ لما تَدعو به، العَليمُ بما في نِيَّتِك من إظهارِ الإسلام، فيَستجيبُ لكَ، ويُوصلُكَ إلى مُرادكَ، وبهذا اشْتَمَلَتِ الفاصلةُ على الوعدِ والوعيدِ[1].

اشتمالُ الاسمين جميعَ الأقوال والأفعال الظَّاهرة والباطنة

لمّا كان كيدُهم وغِلُّهم وشقاقُهم لا يخلو من الأقوالِ والأفعالِ، ناسَبَ أنْ يأتيَ في التَّذْييل باسمَين كريمَين من أسمائه تعالى وهما: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فهما يَقتضيان سَمْعَ الأقوالِ، وعِلْمَ الأفعالِ.

بلاغةُ القصرِ في بيانِ كمالِ الوصفين لله تعالى

مِنْ بلاغةِ التَّراكيبِ في فاصلة الآيةِ الكريمة: أسلوبُ القصرِ، المُستفادُ من ضميرِ الفصلِ: (هو)، وتعريفُ جُزْأَي الجملةِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: وهو قصرٌ إضافيٌّ، يُفيدُ المُبالغةَ في كمال الوَصفَين له تعالى، بتَنزيل سَمعِ غيرِه وعلمِه منزلةَ العدم، فهو تعالى المُختَصُّ بالعِلْم الكاملِ، والسَّمع الكاملِ، فجاء بالصِّفتَين مُعرَّفتَين؛ للدَّلالةِ على الكمالِ في الوصفِ، وجاءَ بضميرِ الفَصلِ للدَّلالة على قَصْرِ هاتَين الصِّفتَين عليه سبحانَه، وبيانِ أنَّ ما عداه لا يَعلمُ ولا يَسمعُ إذا ما قِيسَ بعِلمِه وسَمعِه سبحانه، ولو جاءَ بهما نَكِرَتَين لم يُفيدا هذا المعنى؛ إذْ كلُّ مَنْ عندَه سَمْعٌ وعِلْمٌ يَصِحُّ أنْ يُوصَفَ بأنّه سَميعٌ عليمٌ[2].

ويُمكِنُ حَمْلُهُ على القَصْرِ الحقيقيِّ، باعتبار مُتَعلَّقٍ خاصٍّ، أي: السَّميعُ لأذاهم بالقَولِ، العَليمُ بضمائرِهم، فاطْمَئِنَّ بأنَّ اللّه تعالى كافيكَ ما تَتَوجَّسُ مِنْ شَرِّهم وأذاهم، بكَثْرتهم ومَكْرِهم وغيرِ ذلك، وبهذا يكونُ القصرُ حقيقيًّا مُقيَّدًا مُغايرًا للقصرِ الإضافيِّ[3].

تقديمُ السَّميع على العليم باعتبارِه أوقع في النَّفسِ المُذنبة

وقدَّمَ صفةَ: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ على صفة: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وجاءَ هذا التَّقديمُ مُناسبًا لمَضمونِ الآيةِ الكريمةِ،

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/196، والرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/74.
(2) السَّامرائّي، التَّعبير القرآنّي، ص: 194.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/742.

وسياقِها العامِّ؛ فلمَّا كانتِ الفاصلةُ وعيدًا يَتضمَّنُ التَّخويفَ والتَّهديدَ، بدأ بالسَّمعِ؛ لِأنَّه أوقعُ في بابِ التَّخويفِ مِنْ ذِكرِ العَليم؛ فهو أولى بالتَّقديمِ، ويُمكنُ أنْ يُقالَ: بأنَّه قدَّمَ السَّمْعَ؛ لأنَّه مِنْ وسائلِ العِلْمِ فهوَ يَسْبِقُهُ، فإذا كان اللّهُ تعالى سَميعًا لأقوالِهم، عَليمًا بأخبارِهم، فَسَيكفي نَبيَّهُ شرَّهم ومَكائدَهم[1]، وهؤلاء لـمَّا كانوا مذنبين كان إخبارُهم بسمعِ اللّه لأقوالِهم أوقعَ في نفوسِهم من مجرَّدِ إخبارِهم بالعلمِ.

عِلَّةُ اختيارِ لفظِ: ﴿صِبْغَةَ﴾ دون غيرِه من الألفاظِ:

التَّعريضُ بالنَّصارى فيما يفخرون به على المسلمين

جاء قولُه تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ رَدًّا على دَعوةٍ باطلةٍ لأهلِ الكتابِ؛ بأنَّ المسلمينَ ليس لديهم صِبْغَةٌ تُطَهِّرُهم، وهي عندَهم الاغتسالُ بماءٍ خاصٍّ يُطهِّرُهم من الذُّنوب والمعاصي، وهو المُسمَّى عندَهم بالمَعْمودِيَّةِ، وكانوا يَغمِسون فيه أطفالَهم في اليومِ السَّابعِ مِنْ ميلادِهم، ويقُولونَ: هذا طَهُورٌ مكانَ الختانِ، فإذا فَعلوا ذلك قالوا: الآن صارَ نَصْرانيًّا حَقًّا، ويَغتسِلُ به الكبيرُ عندَهم أيضًا إذا كان عاصيًا، فأَنْزَلَ اللّهُ تعالى هذه الآيةَ رَدًّا عليهم، وأَصْلُ الصِّبغةِ ما يُلَوَّنُ بِهِ الثِّيابُ وما شابَه، والصِّبْغَةُ في الآيةِ: دِينُ اللّهِ وفِطرتُه، والمعنى: صَبَغَنا اللّهُ بفطرتِه الّتي فطر النَّاسَ عليها[2].

وسُمِّيَ دينُ اللّهِ وفطرتُه بالصِّبْغَةِ: على طريقةِ المُشاكلة التَّقديريَّة، بتَسْمية الشَّيءِ باسم غيرِه؛ لوقوع ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ في الآية رَدًّا على أهلِ الكتابِ، الّذين كانوا يَدَّعونَ أنَّ لديهم فقط صبغةً تُطهِّرُهم، فجاءت هذه المُشاكلةُ لِتَرُدَّ عليهم، وتُبيِّنَ أنَّ الصِّبْغَةَ الحقيقيَّةَ هي بتَطهيرِه تعالى للمسلمينَ بالإيمانِ الحقِّ، لا ما هم عليه من الباطل الصُّوريِّ[3].

(1) ابن القيِّم الجَوزيّة، بدائع الفوائد: 1/64.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 3/117-118، والواحديّ، أسباب النُّزول، ص: 41.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/196.

الاستعارة التَّصريحيَّة في قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾:

بيانُ نزعةِ التَّميُّزِ على الآخرين، وأثرُه في التَّطرُّفِ الدِّينيِّ

في التَّعبيرِ بالصِّبغةِ في الآيةِ الكريمةِ: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾: استعارةٌ تَصريحيَّةٌ، علاقتُها المُشابهةُ، وهي مشابهةٌ خفيَّةٌ حَسَّنَها قصدُ المُشاكلةِ، بإطلاقِ الصِّبغةِ على ماء المَعموديَّةِ، أَو على الاغْتسالِ به، وهي اسْتعارةٌ مَبنِيَّةٌ على تَشبيهٍ، وَجْهُهُ تَخْييليٌّ، إذ تَخيَّلوا أَنَّ التَّعْميدَ يُكسِبُ المُعَمَّدَ به صفةَ النَّصرانيَّةِ، ويُلوِّنُهُ بلَونها كما يُلوِّنُ الصِّبغُ ثَوبًا مَصبوغًا، وقريبٌ منهُ إطلاقُ الصِّبغِ على عادةِ القَومِ وَخُلُقِهم[1]، وهذه نزعةٌ عند النَّصارى تدلُّ على الغرور الدِّينيِّ بطلب التَّميُّز على الآخرين، وهو ما يُؤدِّي إلى التَّطرُّفِ في التَّعامل مع المخالفِ، ومعصيةِ اللّه في إرادته في جعلِ النَّاس جميعًا سواسيةً.

غرضُ الاستفهامِ في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾:

بيان أفضليّة الإسلام والإنكار على أهل الكتاب

جاءَ الاستفهامُ في الآية الكريمة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ إنكاريًّا مُتَضَمِّنًا معنى النَّفي، فهو إنكارٌ على أهل الكتابِ الزَّاعمين بأنَّ صِبْغتَهم أحسنُ صِبْغَةً، والنَّفيُ بالنَّظرِ إلى الواقعِ بأنّه لا أحد أحسن من اللّه تعالى صِبْغَةً، وهذا ما قرَّرَه حذفُ جوابِ الاستفهامِ: (لا أحدٌ)، أمَّا التَّوبيخُ فهو على ما ذَهبوا إليه مِن اعتقادِهم الباطلِ الزَّائفِ، القائمِ على العبادةِ الصُّوريَّةِ الشَّكْليَّة[2].

وبهذا الاستفهامِ كان التَّعبيرُ أقوى دلالةً مِنَ النَّفي المُجرَّد؛ "لأنَّ النَّفيَ بالاستفهامِ فيه معنى: أنَّ المُخاطَبَ سُبِقَ إلى النَّفي، فكأنَّ النَّفيَ من القائلِ، والإقرارَ به من جهة المخاطَب"[3]، وقد حقَّقَتْ بلاغتُه في هذه الآيةِ نفيَ أنْ تكونَ ثمَّةَ صِبْغَةٌ أحسنَ مِنْ صِبْغَةِ اللّه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/743.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/109، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/168.
(3) أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص: 212.

تعالى، وأنْ يكونَ دينٌ أفضلَ من دينِ اللّهِ تعالى، أو يُفْهَمَ منه بمَعونة مَقامِ المَدحِ نفيُ مُساواةِ دينٍ لدين الله تعالى في الحُسن، وأفضليَّةُ دِينِ اللّه واضحةٌ في هذا المَقام، مِنْ إضافةِ اسم الصِّبغةِ إلى اللّه، إضافةَ تَشريفٍ وتعظيم، لإدخالِ الرَّوعةِ والمَهابة على مَنْ يَتَنَكَّرُ لأمرِ هذا الدِّينِ، أو يُعرِضُ عنهُ[1].

بلاغة صيغة التَّفضيل ﴿أَحْسَنُ﴾:

دعوةُ المؤمنِ إلى الامتثالِ للحُسْنِ المطلوب في صبغةِ الله

صيغةُ (أفعل) الورادةُ في الاستفهام لا يُرادُ بها حقيقةُ التَّفضيلِ؛ إذ صِبغةُ غيرِ اللّه تعالى مُنْتَفٍ عنها الحُسْنُ، أو يُرادُ بها التَّفضيلُ، باعتبارِ مَن يَظُنُّ أنَّ في صِبغةِ غيرِ اللّه حُسنًا، وأنَّ التَّفضيلَ إنَّما يَجري بين الصِّبْغتَين، لا بين الصَّابِغِينَ[2].

وصيغةُ (أفعل) فيها فائدتان: أولاهما: التَّفتيشُ النَّفسيُّ عن أَثَرِ الصِّبْغَةِ الحقيقيَّةِ أو الصُّوريّةِ، وما تُخفيهِ صدورُهم، بحيث يكونُ الشَّخصُ دائمَ التَّفتيشِ عن أَثَرِ دِينِه فيه؛ لأنَّ اللّه تعالى يُريدُ أنْ يُقِرَّ الإنسانُ بهذا على نفسِه، و(أَفْعَلُ) التَّفضيلِ في قولِه تعالى: "أَحْسَنُ" على بابِه، فصِبغَةُ اللّه أَحْسَنُ مِنْ أيِّ صِبْغَةٍ، أو نقولُ: إنَّه للحُسْنِ المُطلَقِ الّذي لا يَقْتَرِبُ مِنْ مكانتِه حُسْنٌ مهما يكنْ، فَضلًا عن أنْ يساويَه؛ فيكونُ أَفْعَلُ التَّفضيلِ على غيرِ بابِه، والفائدةُ الثّانيةُ: بيانُ خطأِ مَنْ يَظُنُّ أنَّ في صِبْغَةِ غيرِ اللّهِ حُسنًا.

دلالة الفاصلة: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ على القَصر:

بيانُ أنَّ الصِّبغةَ الحقَّةَ لعبادِ اللهِ الموحِّدين، والتَّعريضِ بغيرِهم

أفادتِ الفاصلةُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ الرَّدَّ على أهل الكتاب بالقَصْرِ، بطريقَين:

الأوّل: تقديمُ ما حقُّه التَّأخيرُ، فقد قَدَّمَ شِبْهَ الجُملة من الجَارِّ والمجرور: ﴿لَهُ﴾، على عامله: ﴿عَٰبِدُونَ﴾، والأصلُ: (ونحن عابدون

(1) أبو السُّعود، ارشاد العقل السّليم: 1/168.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/656.

له)، فأفادَ تَخصيصَ العبادةِ للّه تعالى وحدَه، وقَصْرَها عليه دونَ غيرِه، وتحسينَ الفاصلةِ، والاهتمامَ بالمُقدَّم[1].

الآخر: اسميَّةُ الجُملةِ، فقد أفادَتِ القصرَ أيضًا؛ لدَلالة الجُملةِ الاسميَّةِ على ثَباتِ الوَصْفِ ودوامِه لهم، والمُتَمثِّلُ بالعبادةِ الخالصةِ للّه تعالى، وفي هذا: تعريضٌ بأهلِ الكتابِ الّذين اصْطَبغوا بالمَعْمودِيَّةِ، وأشركوا باللّه تعالى، ورَدٌّ عليهم بأنَّهم بعيدونَ عن العبادةِ الصَّحيحةِ، الّتي تَتَطلَّبُ منهم توحيدَ اللّه تعالى وحدَه[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الدِّين وَالمِلَّة:

الدِّين ما يَذهَبُ إليه الإنْسَانُ، وَيعتقِدُ أنَّه يُقَرِّبُه إلى الله تعالى، وهو أعمُّ، والمِلَّة خاصَّةٌ، وهي السُّنَّةُ والطَّرِيقَةُ

المِلَّةُ: السُّنَّةُ والطَّرِيقَةُ، وأصبَحَتْ اسمًا لِمَا شَرَعَ اللّهُ تعالى لعبادِهِ، على لسان الأنبياء، مِنْ حيثُ إنَّ الأنبياءَ يَعلمُونها ويَسْلُكُونها، ويوجّهون أتباعهم إلى سلوكها[3]، وَبِهَذَا الاعْتِبَار لَا تُضَاف إِلَّا إِلَى النَّبِيِّ الّذي تَسْتَنِدُ إليه، من ذلك: مِلَّةُ إبراهيمَ، وَلَا تكَادُ تُوجدُ مُضَافَةً إِلَى اللّه تَعَالَى، وَلَا إِلَى آحَادِ أُمَّةِ النَّبِيِّ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا في جُملَة الشَّرَائِع دونَ آحادِها، فلا يُقَالُ: مِلَّةُ اللّه، ولا ملّتي، وَلَا مِلَّةُ زيد، كَمَا يُقَال: دِينُ اللّه، وديني، وَدينُ زيد[4]؛ لأنَّها تُقالُ اعتبارًا بمَنْ يُؤَدِّي الشَّرعَ عن اللّه تعالى، في حينِ تجدُ الدِّينَ يُقالُ اعتبارًا بمَنْ يُقيمُه ويَعمَلُ به[5]؛ لأنَّه مأخوذٌ من الجَزاءِ، يُقالُ: كما تَدينُ تُدانُ[6].

أمَّا الدِّين، بِالكَسْرِ، في اللُّغَة: فَهوَ العَادةُ مُطلقًا، وَهُوَ أوْسَعُ مَجالًا، يُطْلَقُ على الحَقِّ وَالبَاطِل أيضًا، والدِّينُ: ما يَذهَبُ إليه الإنْسَانُ وَيعتقِدُ أنَّه يُقَرِّبُه إلى اللّه، وإنْ لَمْ يكُنْ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/195.
(2) الألوسّي، روح المعاني: 1/395.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ملل).
(4) الكَفَويُّ، الكُلّيّات، ص: 524.
(5) الراغب، المفردات: (ملل).
(6) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/47.

فِيهِ شَرَائِعُ، مِثل دِينِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وكلُّ مِلَّةٍ دِينٌ، وَلَيس كُلُّ دِينٍ مِلَّةً، واليَهُودِيّةُ مِلَّةٌ؛ لأَنَّ فِيهَا شَرَائِعَ، وَلَيْسَ الشِّرْكُ مِلَّةً، وإِذَا أُطْلِقَ الدِّينُ فَهوَ الطَّاعَة العَامَّة الّتي يُجَازَى عَليهَا بالثَّوَاب[1].

والمِلَّةُ: اسمٌ لِجُمْلةِ الشَّريعَة، فقد تُطلَقُ على أصول الشَّريعةِ، وهو ما يَعتقدُه المرءُ من الإيمانِ باللّه وملائكته ورُسله[2]، وقد تَسْري المِلَّةُ إلى الضِّدِّ، فتُقالُ في العقيدةِ الفاسدةِ على سبيل المُقابلَةِ، ومِنْ ذلك قولُه تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88].

والدِّينُ: اسْمٌ لِمَا علَيْه كُلُّ وَاحِدٍ من أَهْلِها، ألا تَرَى أنَّه يُقَالُ: فُلانٌ حَسَنُ الدِّينِ، وَلا يُقَالُ: حَسَنُ المِلَّةِ، وإنَّمَا يُقَالُ: هُوَ من أَهْلِ المِلَّةِ، وَيُقَالُ لِخِلافِ الذِّمّيّ: المِلِّيُّ؛ نُسِبَ إلى جُمْلَة الشَّريعَة، فَلا يُقَالُ لَه: دِينيٌّ، والدِّينُ إذا أطلِقَ فهو الطّاعةُ العامّةُ الّتي يُجازى عليها بالثّواب[3].

أمّا إذا قُيِّد: فتَختلِفُ دَلالتُه، لكنَّها تَبقى تَمُتُّ الى الجَزاءِ بصِلَةٍ، قَالَ الشَّريفُ الجُرْجَانيُّ: "الدِّين والمِلَّة: مُتَّحِداتٌ بالذَّات، وَمُخْتَلِفَانِ بِالاعْتِبَار؛ فإنَّ الشَّريعَة من حَيْث إنَّهَا تُطَاعُ تُسَمَّى: دِينًا، وَمن حَيْثُ إنَّها تُجمَعُ تُسَمَّى: مِلَّةً، ومن حَيْثُ إنَّها يُرجَعُ إليها تُسَمَّى: مَذْهبًا، وَقِيلَ: الفَرقُ بين الدِّينِ والمِلَّةِ والمَذْهب: إنَّ الدِّينَ مَنْسوبٌ إلى اللّه تَعَالى، وَالمِلَّةَ مَنْسوبةٌ إلى الرَّسولِ، والمَذْهَبَ مَنْسوبٌ إلى المُجْتَهِدِ"[4].

ويَشمَلُ الدِّينُ أُصُولَ الشَّرَائِعِ وفروعَها؛ لأَنَّهُ عِبَارَة عَن وَضْعٍ إلهِيٍّ سَائِقٍ لِذَوي العُقُول، بِاخْتِيَارِهِم المَحْمُودِ إِلَى الخَيْرِ بِالذَّاتِ، قَلْبِيًّا كَانَ أَو قالَبِيًّا، كالاعْتِقاد وَالعلم وَالصَّلَاة، وَقد يُتَجَوَّزُ فِيهِ، فَيُطْلَقُ عَلى الأُصُولِ خَاصَّةً، فَيكونُ بِمَعْنى المِلَّةِ، وَعَليهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: 161] [5].

وممّا سَبَقَ يَتبيَّنُ: أنّ إيثارَ لفظِ (مِلَّة)؛ دَلَّ على الطَّريقةِ والسُّنَّةِ الّتي يَتَّبعُها مَنْ أُضيفَتْ إليه، وهو أبو الأنبياءِ إبراهيمُ، عليه السلام، وفي ذلكَ: دَعوةٌ إلى التَّأمُّلِ والتَّفكُّرِ والتَّعلّمِ لسيرته

(1) العَسْكَريُّ، الفُرُوق اللُّغَويّة: 177.
(2) القِّنَّوجيّ، أبجد العلوم: 2/338 - 339.
(3) العَسْكَريُّ، الفُرُوق اللُّغَويّة، ص: 509.
(4) الشَّريفُ الجُرْجَانيُّ، التَّعريفات، ص: 106-105.
(5) الكَفَويُّ، الكُلّيّات ص: 524، وبتصرُّف.

وطَريقته، وما كان عليه مِنْ شريعة الإسلام، ولفظ (المِلَّة) أقربُ إلى هَدف إيرادها، وهو: الدَّلالةُ على أصول الشَّرائع الصَّحيحة؛ حيثُ إنّها تَجْمَعُ أعمدةَ الرَّسائلِ السَّماويَّةِ، الّتي يُرْجعُ إليها، ولا سيَّما عند الاختلافِ والادِّعاء، كما زعمَ اليهودُ والنَّصارى.

أَنزَل ونَزَّل:

ثمة فرق بين نَزَّلَ وأَنْزَلَ مفاده أن نَزَّلَ يفيد التكثير [1]، وخُصَّ لفظُ ﴿أُنزِلَ﴾ بالاستعمال دونَ ﴿نَزَّلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾؛ لِمَا رُوِيَ: أنّ القرآنَ نَزَلَ دَفْعةً واحدةً إلى سماءِ الدُّنيا، ثمّ نَزَلَ نَجْمًا فَنَجْمًا، فَضلًا عن أنَّ لفظَ الإنْزالِ أعمُّ من التَّنْزيل[2].

الإنـزالُ أعـمُّ من التَّنْزيل

(الله) و(الإله):

اللّه: لا يُطلَقُ إلّا عليه سبحانه، والإله: قد يُطلَقُ على غيره، ويُؤكِّدُ ذلك ابنُ مالكٍ بقوله: "اللّه خاصٌّ له تعالى، جاهليّةً وإسلامًا، و(الإله) ليس كذلك؛ لأنَّه اسمٌ لكلِّ مَعبودٍ"[3].

و(إله): اسمُ جنسٍ، يُطلَقُ على اللّه، كما يُطلَقُ على غيره، ولذا أَطلَقَهُ المشركونَ على أصنامِهم.

و(اللّه): لم يُستعمَلْ قطُّ مُنكَّرًا، و(إله): يُستعمَلُ مُنَكَّرًا مَقطوعًا عن الإضافةِ حينًا، ومُضافًا حينًا آخرَ.

و(اللّه): يُطلَقُ حقيقةً عليه تعالى، و(إله): يُطلَقُ على غيرِه، حكايةً أو مجازًا أو حقيقةً[4].

النَّبيّ والرَّسول:

الرَّسُول: أَصْلُه مِن الرِّسْل، وَهُوَ الانْبِعَاث عَلى التُّؤَدَةِ، وإبِلٌ مَرَاسِيلُ: مُنْبَعِثَةٌ انبعَاثًا سَهْلًا، وَمِنْه: الرَّسُولُ المُنْبَعِثُ، وسُمِّيَ الرَّسولُ رَسُولًا؛ لأَنَّه ذُو رَسُولٍ، أَي: ذُو رِسالةٍ، والرَّسولُ: اسْمٌ مِنْ

الـرَّسـول مَـن أرسله الله تعالى بـرسـالـةٍ وشـرعٍ جـديـد، والـنَّـبـيُّ المُنَبِّئُ عـن الله تـعـالى بـوحـي، ليدعوَ إلى عبادة الـلـه عـلى أحـد شرائع الرُّسل

(1) الخليل، العَين، وابن سِيدَه، المُحكم: (نزل).
(2) الراغب، المُفردات: (نزل).
(3) ابن مالك، شرح الكافية: 1/145.
(4) نصر سعيد، الدّلالة في اسم الجلالة، من خلال سورة المجادلة: 13.

أَرْسَلْتُ، وَكَذَلِكَ الرِّسَالة[1]، والرَّسُولُ: الّذي يُتابِعُ أَخبارَ الّذي بَعَثَهُ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ: جَاءَتِ الإبلُ رَسَلًا، أَي: مُتَتَابِعَةً، والإرْسَالُ: التَّوْجِيهُ، يُسلَكُ فيه التَّوقُّرُ والتَّفَهُّمُ وَالتَّرَفُّقُ، مِنْ غَيْرِ أَن يَرْفَعَ صَوْتَهُ شَدِيدًا[2].

الـرَّسـولُ أعـمُّ من النَّبيِّ، فكلُّ رسـولٍ نـبـيٌّ، وليس كـلُّ نبيٍّ رسولًا

وإذا أُطلِقَ لفظُ الرَّسُولِ أُريدَ به: "إنْسانٌ بَعَثَهُ اللّهُ إلى الخَلْقِ، لتَبْلِيغِ الأحْكَامِ"[3]، في حين أنَّ النَّبيَّ هُوَ: "مَنْ أوحِي إليه بِمَلَكٍ، أو أُلهِمَ في قَلْبِه، أوْ نُبِّهَ بالرُّؤيا الصَّالِحَةِ، فَالرَّسُولُ أفْضَلُ بالوَحي الخَاصِّ، الّذي فَوقَ وَحي النُّبُوَّةِ؛ لأنَّ الرَّسولَ هُو مَن أوحى إليه جِبْرَائيلُ خَاصّةً، بِتَنْزِيلِ الكِتابِ مِن اللّه"[4]، والرِّسالةُ: تُضافُ إلى اللّه؛ لأنَّه المُرْسِلُ بِهَا، ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: 144]، ولَمْ يَقُلْ: بِنُبُوَّتي.

أمَّا النَّبيُّ: فَهوَ المُخْبِر عَنِ اللّه ﷻ، فَتُرِكَ هَمزُه، وَقِيلَ: النَّبيُّ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّبَاوةِ، وَهِيَ الشَّيءُ المُرْتَفِعُ: أَي: إنَّهُ أَشْرَفُ عَلَى سَائِرِ الخَلْقِ، فأصلُه غَيْرُ الهَمْزِ[5].

والإنْبَاءُ عَن الشَّيءِ قَدْ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ تَحْمِيلِ النَّبأ، والإرْسالُ لَا يَكُونُ بِتَحْمِيلٍ، والنُّبُوَّةُ: يَغْلِبُ عليها الإضَافَةُ إلى النَّبيِّ، فَيُقَالُ: نُبُوَّةُ النَّبيِّ؛ لأنَّه يَستحِقُّ منها الصِّفةَ الّتي هي على طريقةِ الفاعِلِ[6]، والنُّبُوَّةُ: سِفَارَةٌ بينَ اللّهِ وبينَ ذَوي العُقولِ من عبادِه، لإزاحةِ عِلَلِهم في أمرِ مَعادِهم ومَعاشِهم، والنَّبِيُّ: لكَونِه مُنبِّئًا بما تَسكُنُ إليه العقولُ الذَّكيَّةُ، وهو يَصِحُّ أنْ يكونَ فَعِيلًا، بمعنى فاعِل، لقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ [الحجر: 49][7].

(1) الراغب، المفردات: (رسل).
(2) الأَزْهريُّ، تهذيبُ اللُّغة، وابن مَنْظور، لسانُ العَرب: (رسل).
(3) الجُرْجَانيُّ، التَّعريفات، ص: 110.
(4) الجُرْجَانيُّ، التَّعريفات، ص: 239.
(5) ابن مَنْظور، لسانُ العَرب: (نبأ).
(6) العَسْكَريُّ، الفُرُوق اللُّغَويّة: 1/162.
(7) الراغب، المفردات: (نبأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»